حينها . فان كل واحد من قرائها يرى فيها صورة اخلاقه واميالهِ ويوشك ان يسمي بطلها باسمه . وقد كان لرواية (رنه) فضل عظيم لانها اول كتاب حدَّد شيئاً غير محدود وزينه تزييناً جعل كثيرين يرون فيه خطراً . ولكن هذا الخطر قد مرَّ منذ زمان ''

نشرنا في هذا الجزءِ هذه المقدمة التي تعرّف الى القراءِ اهمية هذه الرواية الجميلة وسنشرع في نشرها ابتداءً من الجزءِ التالي

في قتل بعض الشرائع

حياة لكثير من الناس

قرية لا شريعة فيها ولذلك ليس فيها فقير

لا تستغرب هذا العنوان . فقد قالوا ان (الشرائع العادلة) تجعل الامم سعيدة . ولكنهم لسوءِ الحظ لم يجدوا حتى الآن (الشرائع العادلة) لتتم للامم السعادة

انظر الى كل امة من امم الارض ترَ انها كلما اغذت السير في سبيل العمران ووضعت الشرائع لصيانة حقوق الانسان زاد فيها الشقاءُ بزيادة الترف والسعة وفيضان الذهب الرنان

قال الفيلسوف تولستوي ان العالم الآن مريض مرضاً مضحكاً . فان اهله يتنافسون في انشاءِ السكك الحديدية والتلغرافات السلكية واللاسلكية والبواخر البحرية والدوارع الحربية والمتاجر الواسعة وانوار الكهرباءِ الساطعة والدور الشامخة والمدن الباذخة — ولكن هل زادت جميع هذه الصبيانيات شيئاً في سعادة الانسانية وراحتها . كلا فان الفقر سائد . والصلاح بائد . والفقر ممدود الرواق .

والتعاسة آخذة اربعة اخماس البشر بالخناق . والبشر في نزاع وشقاق . فما هذه المدنية المضحكة التي يتنعم فيها جزء ويشقى تسعة اجزاء

فاجابه عالم اوروبي بقوله : اذا نظرنا الباخرة تمخر في عباب البحر وهي على ما هي عليه من الجمال واحكام الصنعة خارجاً وداخلاً هل من العقل ان نحكم بفسادها ونقضي باغراقها اذا كنا نرى وحوش البحر الضارية تحوم حولها وترافقها في طريقها . فالمدنية الحاضرة كتلك الباخرة والشرور والمفاسد التي فيها كتلك الوحوش . وسيأتي زمن تتخلص فيه المدنية من وحوشها وتظهر للبشر ناصعة خالصة من كل ضعف وشقاء طبقاً لناموس (قابلية الكمال)

قلنا . فالمسألة هنا تتوقف اذاً على حل هذا اللغز الفلسفي الذي اعيى الفلاسفة حله . وهو (هل الانسان قابل الكمال ام لا) والفلاسفة فيه موجبون وسالبون والله يعلم وهم لا يعلمون

﴿ قرية فور ماردیك ﴾ وفراراً من الوقوع في الترهات الفكرية والظنون الفلسفية نقطع حبل الكلام في هذا الموضوع ونعود الى حوادث الحياة اليومية الثابتة بالتجربة والمشاهدة . فان خير برهان ما شهد به الواقع وأيّده الامتحان

اننا نقص عليك في هذا الفصل خبر بلدة لا شريعة فيها ولا نظام للملك والارث . بل الارث فيها معدوم قطعاً . ولستَ تجد فيها انواراً كهربائية ولا آلات بخارية ولا مصالح تجارية ولا قصوراً سنية . ومع ذلك فاهلها يعيشون هنيئي البال سعداء ليس فيهم شقي ولا فقير

هذه البلدة هي قرية فور ماردیك قرب مدينة دنكرك الفرنسوية . عدد سكانها اليوم ١٧٠٠ نفس وكانوا منذ ٥٠ سنة ٦٥٠ نفساً . وفي سنة ١٨٢١ كانوا ٣٠٠ نفس . اي انهم في ٨٠ سنة تضاعف عددهم ٦٠ مرة مع كثرة

المهاجرين منهم . وليس في اوروبا كلها بلد وقع له مثل هذا

ومعدل المواليد في هذه القرية ٤١ طفلاً لكل ١٠٠٠ شخص في كل عام . مع ان المعدل للالف في المانيا ٣٦ طفلاً وفي فرنسا ٢١ طفلاً . والدليل على ان اهل هذه القرية السذج يحسنون تربية اولادهم وتدبيرهم ان الوفيات من الاطفال في السنة الاولى قليلة اذ لا يموت منهم الا ١٦ في الالف وهي نادرة ما بعد السنة الاولى . وعلى الجملة فان نسبة الوفيات الى المواليد كنسبة ١ الى ٢

وكانت هذه القرية مجهولة لدى الفرنسويين ولدى الحكومة حتى سنة ١٨٨٧ فاكتشفها في ذلك العام الدكتور لنكري من مدينة دنكرك

﴿ سبب هذه السعادة ﴾ اما سبب سعادة هذه القرية فهو اختصاصها بعادات وضعتها لنفسها . وتاريخها يبدأ منذ حكم لويس الرابع عشر والوزير كولبير الكبير . فقد كان على مقربة منها حصن حربي وكان قرصان البحر كثيري التردد على هذا الحصن يهاجمونه . فرغبة في حمايته أمر لويس الرابع عشر بنقل اربع عيلات من بلدة كوك في بيكارديا الى تلك الجهة واقطعهم ١٢٥ فداناً من الارض يفلحونها ويستغلونها دون ان يكون لهم حق في غير دخلها . فألفت هذه العيلات الاربع جمعية دعتها (جمعية البحارة الصيادين) وأخذوا يعيشون من الزراعة وصيد السمك كأنهم عيلة واحدة . فتكاثروا ونموا مع ممر الاعوام واتصلوا الى ان قرروا مبدأً كان سبب راحتهم ونفي الفقر والشقاء من قريتهم وزيادة نسلهم واليك بيانه

انهم قرروا ان كل رجل يجب عليه ان يتزوج ومتى تزوج وهبته القرية (دوطة) عقارية مساحتها ٢٤ فداناً . فيستولي على هذه الارض فيزرعها ويعيش هو وعيلته منها . واذا توفي استردت القرية هذه الارض منه ووهبتها ثانية الى رجل آخر حين زواجه . وعلى الغالب تهبها الى احد اولاد المتوفى . فالرجل

الذي يستولي على هذه الارض الموهوبة له ليس له حق بيعها او هبتها او ايراثها لاحد وانما له حق استغلالها فقط . وهذا يكفي لان كل من يستولي على هذه الارض يصبح وقد ضمن لنفسه ولعيلته الرزق فتسكن نفسه وتطمئن و يعيش براحة وسعة مع عياله . ولذلك ترى تلك القرية اجزاءً اجزاءً كل جزء منها مؤلف من منزل ذي ثلاث او اربع غرف تبعاً لقلة عدد العيلة او كثرته . ووراء المنزل الارض الموهوبة ليعيش أهل المنزل منها

ان الاشتراكيين الدُّعداء الوراثة والملكية . وهم يقولون انه من الظلم المساعد على الكسل وزيادة الفساد والشقاء في الدنيا ان يستولي ابنٌ بليد خامل على املاك واموال ابيه الطائلة بحق الارث البليد مع انه لم يفعل في الحياة شيئاً يستحق من اجله تلك النعم الفجائية التي جُمعت من اموال الامة . وأهل الاملاك والاموال في كل أمة يملأون الدنيا صراخاً وتعنيفاً للاشتراكيين على هذه الآراء التي تحرم المالك حرية التصرف في ملكه الذي جناه بتعبه وجهده تصرفاً يوافق هواه وارادته وتهدم في نفس كل انسان نشاط العمل والجد للاقتصاد والادخار لان كل انسان لا يعمل و يجدّ الا ليقتصد و يدخر و يكون له حق التصرُّف في نتيجة ادخاره واقتصاده . فأهل هذه القرية الساذجة الصغيرة العائشون بمعزل عن ضوضاء الامم ومشاكلها . وفتنها ومشاغلها . وتنازعها ومطامعها . قد حلّوا ببساطة غريبة تلك المشكلة التي اعيى البشر حلها والانسانية تتحارب الان حولها .

انكم ايها السذج السعداء العائشون في احضان الطبيعة كالطفل في حضن امه ولا همّ لكم الا مساعدة بعضكم بعضاً وراحة مجموعكم اجمالاً — لاهلٌ لهذه السعادة التي بلفتموها . فعيشوا براحة وأمن وسلام تحت حماية الطبيعة وفي بركة الله واضحكوا من ملايين البشر الذين يتخاصمون و يتنازعون و يتدافعون حولكم على لا شيء